الماضي يستمر في الحاضر والفوضى زادت

الحياة السرية (للكراجات) والخلافات ما بين السائقين والهيئة والنقابة!

أحمد السعداوي

من يريد يلتقط صورة فوتوغرافية للوضع النفسي للعراقيين عليه أن يزور كراج باب المعظم. أما اذا أراد (تلبس) هذا الوضع النفسي، فما عليه سوى أن يركب أية سيارة داخله، واذا ما كانت هناك أغنية حزينة في مذياع السيارة فستكتمل المؤثرات الصوتية لدراما السيارة الزاحفة بالسنتمترات في طريق خروجها منه. وعراك السائقين مع بعضهم، ومن يرغب بتوثيق الوضع النفسي للعراقيين عليه أن يستخدم على سبيل المثال الخط الذي يربط باب المعظم بالباب الشرقي المار بشارع الشيخ عمر أو في حافلات الركاب المارة بالشورجة والسوق العربي، واذا كان من هواة القراءة فسيجد الوقت الكافي لقراءة الصحف العراقية كلها قبل أن يصل الى بغيته.

السائقون رهينة النقل

وبسبب أن شهيتنا مفتوحة لإلصاق التهم، سنبحث عن التهم في هذا (الوضع المميز) الذي تعيشه شوارعنا. ولا نفلح في إيجاد جهة محددة، فالكل متهم، مثلما الكل بريء. حتى أن الحاكمة نفسها لا تساعدنا في حل الأزمة. وقد قيل الكثير الذي لا ينفع معه التكرار في هذا الموضوع: الواطن يشتكي، والسائق يشتكي، والنقابة تشتكي ورجل المرور يشتكي ولو كان للشوارع لسان لاشتكت هي أيضاً.

خفف سائق سيارة الكوستر من سرعته، ثم أخرج يده من النافذة المجاورة، وأعطى مئة دينار لرجل واقف عند رأس الشارع. قلت له: من هؤلاء؟ فأجاب بأنه لا يعرف.. فاستغربت من جوابه - (كيف.. لا تعرف؟.. أليس هذا الرجل من النقابة؟) سألته فأجاب منزعجاً..(يا نقابة يا بطيخ!!)

لقد رأيت هوية معلقة على صدره!

- أعطني فلوس وسأجلب لك هويات الدنيا كلها.

يبدو أن الحوار السابق يفصح عن جزء من الصراع الأزلي ما بين سائقي مركبات النقل الخاص وموظفي الهيئة أو النقابة أو القائمين على الكراجات.

فالذين سألتهم من السواق أجمعوا على رأي واحد: كرههم الشديد للأرتباط مع هيئة أو نقابة.

في كراج الباب الشرقي.. تصطف السيارات حول الساحة التي كانت تنتصب فيها تماثيل العقداء الأربعة، وفي أكثر الأحيان على نحو صفين أو ثلاثة من السيارات.. بحيث لا يصبح الشارع سالكاً أمام السيارات بسبب تحوله إلى كراج للسيارات الذاهبة إلى (سلمان پاك) وكرادة خارج وداخل والصناعة والزعفرانية وغيرها من الخطوط. رجال المرور يبدون أضأل من حجمهم المعتاد وهم يحاولون جاهدين تنظيم السير وفك الاختناقات. والخطوط الكيفية تبدل مواقعها كل يوم وتقف كيفما تفق.

أحد السواق قال لي في معرض إجابته على أسئلتي أنه لا يستطيع الدخول إلى الكراج لأن الخروج منه فيما بعد سيغدو محنة له.. كما أنه من موقعه هذا يختصر المسافة على الركاب.. بدل ذهابهم إلى داخل الكراج الموحد.

آخرون.. انتهزوا الفرصة وجودي لينزلوا أعنانهم على البنزين والكاز.. وإنها سبب الفوضى!!

أحد المواطنين قال: ليس هناك (يد حديدية) تضرب على المخالفين.. والقضية الأهم هي ارتفاع أجور النقل التي...و...

اخوانيات

السيد مبروك يوسف نصرت مدير مجمع باب المعظم كرر الكلمات السابقة مضيفاً.. أن الناس مع الأسف بدأت تستهزئ برجل المرور.. وخاصة بعض السائقين.. الذين ليس لديهم أخلاقيات سير. والكثير منهم يعتبر أن الصراع في الشارع هو من يخلصه من الزحام وليس اتباع قواعد السير.

وبشأن سلطاته داخل الكراج قال إنه كموظف حكومي يشرف على الكراج ولا يملك سلطة حقيقية.. فلا أحد يستطيع محاسبة المخالفين أو يقطع وصولات غرامة لمن يغسل سيارته داخل الكراج.. أو يزيد على الأجرة.. أو متابعة الباعة داخل الكراج نريد ضوابط وتعليمات نريد قوانين تردع السائق المخالف!

وحين سألته عن مهام هيئة النقل الخاص قال - حتى مدير النقل الخاص ليست لديه سلطة حقيقية!

وعن الإجراءات المتبعة حالياً قال إنها تتلخص بمفردة واحدة... الأخوانيات... فعن طريق العيني والأغاتي.. ننجح أحياناً في التعامل مع بعض المخالفات.. وعلى سبيل المثال.. إرتفعت أجرة خط حي الجهاد من 250 ديناراً إلى 750.. وبعد (الإخوانيات) استجاب البعض لتخفيض الأجرة... ولكن البقية امتنعوا.

فقدان الوقود.. والأمن!

رئيس اللجنة النقابية في كراج باب المعظم السيد فتح الله حسين صبح.. وقف قليلاً في صف السائقين، فقال: إننا لا نستطيع محاسبة السائق في الوقت الذي لا يتوفر الكاز أو البنزين.. فزيادة الأجرة مرتبطة بالوقود.

ولكنه شكا من الخطوط الكيفية.. وصعوبة السيطرة عليها. وقال إن هيئة النقل الخاص أصدرت أمراً بتشكيل خطوط جديدة حسب رغبة السائق على أن يلتزم بالخط الجديد، برغم أن هناك خطوطاً فارغة تقريباً، وزحاماً كبيراً على خطوط أخرى.

وحين سألنا عن الأشخاص الذين يجبون الأجور من السائقين في مناطق وشوارع مختلفة داخل بغداد وادعاء بعض السائقين بأنهم من جهات غير معروفة، قال لنا السيد فتح الله أن هؤلاء موظفون نسبتهم الهيئة حسب المناطق الجغرافية في بغداد، ولا صحة لوجود أشخاص مجهولين يجبون الأجور من السائقين.

وعن السيارات الحكومية الكثيرة التي زاحمت السيارات الخاصة في المرائب ما بين الساعة (2) والساعة (4) بعد الظهر.. وبعدها تكون هذه الأماكن فارغة من أية جهة مسؤولية..

عادل ناصر مسؤول إدارة باب المعظم قال: في بعض الأحيان تأتي دوريات الشرطة ومفارزها ليلا وهذا يدعو إلى الاطمئنان.. ونتمنى لو يتم تخصيص دورية واحدة في الأقل في كل كراج لحماية الهيئة والنقابة والمواطن والسائق من السراق واللصوص ومثيري الشغب.

رياح الخصخصة!

العاملون في مرائب بغداد المختلفة كرروا أمامي القرار (134) الذي ألغي من قبل مجلس الحكم والقاضي بإنزال عقوبات الغرامة المالية والحجز بالسيارات المخالفة.. وإن مجلس الحكم لم يشرع قانوناً بديلاً للقانون الملغى.

وفي حدود عمل رجل المرور فإن وزارة النقل مسؤولة الآن عن اصدار تعليمات وتوجيهات مؤقتة للحاجة الماسة إليها، وعدم انتظار الدستور وتشكيل السلطة القانونية الكاملة.

وعلى هامش هذه الشاكل لم يخف الكثير من العاملين في الشركة العامة لنقل الركاب خوفهم من (رياح الخصخصة!) التي ستطول شركتهم، ولربما تسببت في قطع أرزاق الكثير منهم.

(شركتنا خدمية.. وليست إنتاجية) قال أحد العاملين موضحاً أن الخصخصة ستجعل من هدف شركتهم هو الربح لا أكثر!.. وليس لدينا تعليق.

في (كراج) العلاوي

في سؤالنا عن الدور الرئيس لهيئة النقل الخاص ونقابة العاملين في النقل الخاص علمنا أنه في كراج العلاوي.

بحثنا داخل كراج العلاوي عن أثر لنقابة أو الهيئة فلم نجد شيئاً، وكلما سألنا سائقاً أجابنا باشمئزاز وهو يشير إلى جهة لا على التعيين.

وقادنا السؤال في النهاية إلى وكيل متعهد كراج العلاوي السيد عزيز علي الذي كشف لنا خبايا وأسرار اختفاء النقابة والهيئة.

ما الذي حصل للهيئة؟ سألناه فجاءنا الجواب: السائقون لا يرغبون بها.. ويقولون أن رجوع الهيئة يعني رجوع صدام!

بعد انتهاء الحرب.. جاء عدد من العاملين في النقابة.. وأعادوا تشكيل نقابتهم.. وكانت على شكل تجمع أحزاب.. ثم حدثت خلافات بينهم وتدخلت قوات التحالف لحسم هذه الخلافات في الوقت الذي كانت فيه السيارات تصطف خارج الكراج.. ولا يرغب أي من السائقين بالدخول اليه.. وبعد أن ثقب جنود التحالف بالحراب اطارات عدد من السيارات المصطفة في الخارج اجبروا على الدخول في الكراج ثم أخذ تعهد خطي من أعضاء النقابة بعدم إثارة المشاكل.

وحينما جاءت الهيئة (تعارك) معها السواق وطردوا العاملين فيها خارج الكراج. لأنها تذكرهم بكل أعمالها السيئة سابقاً مثل أعمال السخرة في احتفالات ميلاد صدام.. وحجز السيارات بالمئات للذهاب إلى تكريت.. وأخذهم الرشاوى.. باختصار هناك صراع بين السائقين والهيئة وثارات قديمة من مرحلة النظام البائد.

وأين النقابة الآن؟.. سألنا السيد عزيز علي فأجاب أنهم تبخروا أيضاً.

وبخصوص عمله شكا من السائقين لأنهم لا يدفعون له (حسب العقد المبرم مع هيئة النقل الخاص) نسبة الـ5% من أجور الخطوط... وهي حق للتعهد.. ويدفعون أقل من ذلك، كما أن بعض الخطوط تعمل خارج الكراج، وحينما نعين موظفاً لجباية الأجور من السواق خارج الكراج يهربون.

ما العلاج؟

حراس الكراج.. كانت لهم مشكلتهم أيضاً قالوا أن الكراج مظلم خلال الليل مما يجعل المكان أكثر خطراً، وقد اشتبكوا عدة مرات مع عصابات مسلحة داخل الكراج، وهم يطالبون بمولد خاص لإنارة الكراج ليلاً.

خرجت من كراج العلاوي ومن لغط السواق ومشاكل النقل والبنزين والمرور وأنا أفكر طويلاً بكلمات فيزواف شيمبورسكا:

(هناك مشاكل كثيرة في حياتي.. ولكني سأعالجها.. بنوم طويل)!

في المدى

بين المرور والشرطة الجديدة

عبد الكريم العبيدي

كثيرة هي الاخطاء التي كان يرتكبها سابقاً رجال المرور والشرطة المحلية في التقاطعات والشوارع العامة.. وكثيرة هي الحوادث المؤسفة والمؤلمة التي كنا نراها ونصمت، لا لشيء، سوى لانها اخطاء من سلسلة اخطاء اخرى، في وضع قل ما يقال عنه انه خطأ من "قمة رأسه الى أخمص قدميه"، وحتى آنئذ، ونحن نتذكرها الآن، لا يسعنا سوى ان نسميها أخطاء الامس، "وعناوين الامس" ومخلفاته...

وعلى الرغم من ان آثارها لا تزال شاخصة وموجودة كنتائج طبيعية لعصر اخطاء" الماضي وتداعياته، تحتاج الى عدة اعوام قادمة كي تتلاشى، الا انها، وفي كل الاحوال فتضحت جميعاً للقريب والبعيد.

الا ان ما يربك حقاً ويشد الانظار اليه، هو ما يحصل في هذا الوقت بالذات، الذي يفترض منا جميعاً ان نتفرغ فيه لمحو او تقليص تلك الاخطاء ومن ثم القضاء عليها إن شئنا، وحين نرى مفاصل الحياة الجديدة واجزاءها الحركة فهذا ما لا ينبغي ان يكون لانه سيحول الى خطأ مركب، يعود بنا الى الوراء، ويمزق همنا، ويشل فينا كل مادة للتطلع.

يوم الاربعاء (12/15) وقعت حادثتان مؤلمتان حقاً في تقاطع الرشيد-بغداد الجديدة، وكان مرتكبوها هذه المرة من رجال المرور والشرطة المحلية الجديدة".. ففي تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً حصل زحام شديد، بعد ان تشابكت كافة السيارات الصغيرة والكبيرة وتحولت الى عنقود ضخم لا ينقطع ولا تنفرط كياته، مما اجبر الركاب على النزول من السيارات والسير على الاقدام، في فوضى قل ما يقال عناه انها "لا توصف".. في حين، وهذا ما يؤلم حقاً، كان رجلان، من شرطة المرور ضابط وضابط صف، يتحدثان ويتهقهان وكأنهما غير معنيين بما يحصل وكأن المشكلة كما بدا من سلوكهما لا تخصهما ولا تقع ضمن اهتماماتهما فالقضية باختصار (ليست من واجبهما)!!.

وبعد ان "بلعنا" هذا المشهد المؤلم بكل وقاحة، حصل ما هو أغرب.. فقد توجه شرطيان محليان" وأوقفا خط السيارات المتوجهة الى الباب الشرقي من جهة الزعفرانية ليفسحا المجال للسيارات المتوجهة نحو بغداد الجديدة بالمرور.. وظل هذا الحال دقيقة اثر دقيقة حتى تجاوزت فترة الانتظار الـ(15) دقيقة، مما جعل ركاب "الكيا"، وأنا احدهم، يصابون بالذهول وهم يتابعون هذا المشهد الغامض باحثين عن سر همة الشرطيين الفاجئة واصرارهما على ايقاف خط وتسيير خط آخر دون سواه.. حتى تكشف اللغز بعد مرور أكثر من (50) سيارة إذ جاءت سيارة شرطة كانت بعيدة عن التقاطع ومحشورة وسط الزحام توقفت سيارتهما إذن!، أنها توقفت أمامنا فصعد فيها الشرطيان وتحركت قليلاً ثم توقفت، ونزل منها شرطي ليقف مع مجموعة من الواقفين على الرصيف بانتظار سيارة تقلهم الى بغداد لجديدة، وتفاهم معهم وسرعان ما امتلأت سيارة الشرطة بالركاب وانطلقت.. قال احد الركاب معلقاً: سيارة شرطة تتحول الى تاكسي للأجرة!.. وقال آخر: هذه ليست المرة الاولى!!

شهادات وانطباعات عائدة من الغربة

آه.. كم تغيّر الوطن وكم هو فقير؟

جمانة القروي

لم يكن القرار بالسفر الى بغداد شيئاً سهلاً.. مشاعر مشوبة بالحنين، الشوق، والفرح والخوف والتوجس. وتصاعدت حمى القلق، مع اقتراب موعد السفر. ترى ماذا ينتظرني هناك؟ كيف اصبح الناس..؟ كيف سأجد الشوارع والأحياء.. ودارنا التي تركناها مجبرين منذ خمسة وعشرين عاماً؟

ما كان يقلقني هو الشعب الذي عاش مقهوراً الأكثر من ثلاثة عقود.. هل صحيح ما تروج له الفضائيات. وما تظهره وسائل الاعلام العربية إذ لا تخلو نشراتها الاخبارية من اظهار العراق وقد تحول الى إنسان خال من القيم، وطماع، ومجرد سارق، ولم تقصر في إظهار اسوأ ما في العراق من مآس.. لم استطع تصديق ما كنت اشاهد وأسمع.. ورحت أتساءل كيف يتحول الانسان العراقي ذو التاريخ العريق، حامل المبادئ الى مجرد سارق ومحتال؟! ربما لانه عانى من الظلم والاضطهاد والجوع؟ فقد قيمه!

لكن عقلي لم يستوعب ما كان ينشر وما يقال، لايمكن للأصالة ان تندثر..

سائق سيارة الأجرة..

سائق السيارة التي اقلتني ووالدتي من عمان الى بغداد، لم اجد فيه غير صورة العراقي التي اعرف، عاملني كأني إحدى اخواته، وكأن والدتي والدته، لم يتوان في مساعدتها وتوفير كل وسائل الراحة لها والقيام على خدمتها، لكي تستطيع تحمل مشاق السفرة الطويلة. لم يتركنا الا ونحن امام باب الدار، وبين أهلنا، برغم انه انسان كادح وبسيط ومعيل لعائلة من ثلاثة اطفال وأمهم. الا انه رفض اخذ اجرته، الا بعد محاولات كثيرة.. اخذها وهو في اشد الحرج..

فأين مراسلو الفضائيات من صورة هذا العراقي الذي لم تغيره الظروف والذي لم ينل من شهامته نظام الطغيان متمسكاً باخلاقه وقيمه، ولم يغير الفقر اخلاقه؟

لانظام

الشوارع مزدحمة بكل انواع السيارات القديمة والحديثة، الرقمة وغير الرقمة، لانظام في الشوارع على الاطلاق.. ليس ما يسمى بنظام المرور كل يقود على هواه.. اما صوت منبه السيارات فانه يستعمل بسبب او بدون سبب بالاضافة الى الوقوف في منتصف الشارع، او على احد جوانبه، دون مراعاة لأي قانون. شارع فيه اتجاه واحد للذهاب واتجاه للإياب، بقدرة قادر يصبح ذا اتجاهين للإياب او للذهاب حسب الحاجة..

مساحات شاسعة من الارض متروكة من الممكن استغلالها لتكون محلات منظمة ونظيفة لوقوف السيارات باجور زهيدة. تخفف من حدة الزحام وتترك مجالاً لسير السيارات..

لم تكن شوارع بغداد بهذا الزحم يوم غادرتها سنة (1978) ولم يكن النظام فيها مفقوداً، أما الآن فلا احد يعير شرطي المرور اي اهمية، ولا يحترم اشارته.. فشعبنا لم يذق طعم الحرية، والديمقراطية لثلاثة عقود، لا يعرف استخدامها.. لم تكن لغة السلاح سائدة يوماً.. ظاهرة رأيتها بأم عيني، وعجبت لها.. عندما كنا ننتظر في احدى طوابير البنزين، جاءت سيارة ودون انتظار في الطابور وبقوة السلاح للوجهة الى عامل البنزين اخذ سائقها الكمية التي يريدها دون أن يدفع حتى ثمنه.. فأين من يوقف مثل هؤلاء عند حدودهم.. ومتى تنتهي أزمة البنزين؟

بلد الذهب الاسود يتحسر ابناؤه على البنزين والنفط والغاز.. فأي مفارقة هذه.

لا... للأوحال..

الامطار في بلداننا العالم مصدر خير اما في العراق فانها مصدر إزعاج، لا يتمناه الناس في المدينة.. فالاحوال والمياه الآسنة تملأ الشوارع والاحياء، وتتحول الشوارع الى بحيرات تملؤها المياه والحاذورات، فيضطر الاطفال الى الخوض بأرجلهم الصغيرة في مياه الامطار والجاري.. للوصول الى مدارسهم، مما يعرضهم لمختلف الامراض.. فيضطرون لسلك طرق غير معتادة لكي يتجنبوا الخوض في الاوحال.

بغداد الجديدة إحدى تلك الاحياء، التي يصعب فيها سير الناس والمركبات، الباعة المتجولون يخرشون الارض الرطبة.. ومعظمهم حفاة ترتجف اوصالهم من البرد.. واكثرهم من الاطفال والشباب الذين يعيلون عائلاتهم.. هذه الشريحة من الشعب الاكثر معاناة.. قارنت بين ما توفره الدول المتقدمة للأطفال من حق التعليم، والشعور بالأمان وتحريم عملهم، وحق الشعور بالطفولة.. مع توفير التأمين الصحي لهم، الى سن العشرين.. وحالة اطفالنا اليوم ما ان نولي اهمامنا الى اطفالنا حتى نتحرر من ماضينا ومآضيه. فالاطفال هم المستقبل.

ثلاث مدارس في واحدة

كيف تتحول مدرسة واحدة الى ثلاث مدارس.. ابتدائية للبنات، ابتدائية للأولاد.. ثم متوسطة (اما) للأولاد او للبنات.. وبنظام ثلاث ساعات فقط. الكثير من المدارس تفتقد الى ابسط الشروط الصحية، لا وجود فيها الى تنظيف صفوفهم بأنفسهم، وهذا ما شاهدته في احدى المدارس الابتدائية في حي يسمى (حي العامل) هذه المدرسة تفتقد الى وجود خزان لمياه الشرب فيضطر التلاميذ لجلب الماء معهم من البيت.

غرف كتب على ابوابها، مكتبة.. مختبر فيزياء، مختبر كيمياء او مختبر أحياء.. ولكن عند الدخول اليها لا يوجد أي شيء يربط بين ما كتب عليها وما تحويها، فأما ان يكون الغبار قد لفها تماماً، او انها تحولت الى صف..

دخلت غرفة للمدرسات التي من المفروض ان توفر فيها وسائل الراحة، فلم اجد سوى كراسي محطمة ومنضدة قديمة، (وتواليت) بدون ابواب.. لم تكن غرفة المدرسات أيام كنت تلميذة ينقصها شيء.. كما تجسدت امامي صورة غرفة المدرسات في مدرسة ابنتي في السويد... كل ما يخطر على البال موجود ومتوفر فيها.. ان المقارنة غير منصفة!

اما نقص الكادر التعليمي.. فأكثر الناس، سواء كانت ابتدائية ام ثانوية تعاني منه، تشكو مديرة مدرسة ثانوية من وجود دروس شاغرة بمقدار (7-8) معلمات، تقول، (لا اعرف كيف استطيع إكمال النهج المقرر)!

اما ساحات المدارس فحدث ولا حرج.. عبارة عن بحيرات لمياه الامطار او مجرد مزبل.. فيضطر التلاميذ الى الوقوف امام الصف، او الجلوس على رحلاتهم بانتظار الدرس التالي..

قارنت بين مدرس العراق في قلم اجد أي تقدم لا بل على العكس لقد تدهورت من كل النواحي سواء المستوى العلمي او أسلوب التعليم او اوقات الدوام.. لم تعد المدرسة مؤسسة لتربية الاجيال، إنما مجرد مؤسسة للظلم والاضطهاد في ظل نظام أمني جاهل..

اما موضوع اضطهاد الاطفال واستعمال العنف ضدهم فما زال سائداً.. فالكبير لا والشعب كله ولثلاث عقود يرزح تحت نير الاضطهاد والعنف.. تقول طفلة عمرها (10) سنوات بأن المعلمة تحبس الاطفال الذين يلعبون كثيراً أثناء الفسحة في دورة المياه، وتعاقب الذين لم يكتبوا الواجب دون ان تعطيهم الفرصة لإبداء الاسباب.. فمتى يصبح العراق مثل الدول المتقدمة التي تحرم تعرض الاطفال للاضطهاد النفسي والجسدي..

هذا وطني... لا محوّلة..

ضجيج.. اصوات عالية.. كلمات مألوفة، تتردد دائماً.. افتح لازم الكهرباء.. هذا وطني.. وما ان تتعود العين على الضوء، حتى يعم الظلام، من جديد.. ليعود الضجيج مرة اخرى.. اغلقوا الازرار يجب تشغيل المولدة.. مشكلة انقطاع التيار لثلاث او اربع ساعات.. ومجيئه لمدة تقل احياناً عن ساعتين يسبب الكثير من الازعاج والتوتر.. الغريب في الامر ان الانقطاع يكون في مواعيد محددة، اما عودته فلا احد يعرف متى. قبل خمس سنوات انقطع التيار الكهربائي في احدى مدن السويد بسبب الثلوج الكثيفة ذلك العام، فاعلن عن ذلك في كل وسائل الاعلام لاكثر من مرة..

منذ فترة انقطع التيار الكهربائي في وشنطن لمدة ست ساعات، ولم تبق محطة فضائية واحدة الا واعلنت الخبر.. فلماذا تصمت وسائل الاعلام امام ما يعانيه الشعب العراقي من انقطاع متواصل للكهرباء؟

لقد تراجع العراق الى الوراء، وتخلف عن العالم في كل نواحي الحياة، هذا البلد الغني شعبه من أفقر شعوب العالم..

لقد تمكن اعداؤه منه، ولم يعد العراق ذلك البلد الذي تركت..!!

لكن الامل بخروج العراق من محنته.. يتجدد دائماً.